النسق الظرفي بين العربية والغربية (دراسة لسانية)

أ.د. غسان إبراهيم الشمري[i]

تاريخ الاستلام 2023/6/20
تاريخ القبول 2023/8/23

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب في الظروف الطبيعية. ونركز على طبيعة النسق الظرفي ومفرداته بالمقارنة مع الظروف في لغات أخرى. محاولنا التطرق إلى القضايا الآتية: هل الظرف مقولة مستقلة؟ وما طبيعة المقولة الظرفية؟ وما النواة الوظيفية للظروف؟ وهل تمتلك الظروف خصائص مقولية (سمات وظيفية) تميزها؟ ولماذا تحتاج اللغات الطبيعية إلى الظروف؟ ما طبيعة الظروف في اللغة العربية؟ وكيف تسقط الظروف؟ وعلى ذلك سنعرض سنتعرض لمفهوم الظرف وعلاقته بالاصطلاح الغربي. وسنبين أنّ الاصطلاح العربي لا يماثل نظيره في النحو الغربي. وسوف نعيد النظر في كثير من الظواهر التي لم يدخلها النحاة القدماء في باب الظرف حتى يتسع الاصطلاح الذي نستخدمه لمعطيات جديدة. ثم نعرض لبعض الخصائص الأولية للظروف. ثم ننتقل إلى تعريف الظرف في النحو التقليدي الغربي. وسنعالج تحليلا للظروف داخل نظرية للمقولات التركيبية وسنثير مشاكل ترتبط بوضع الظروف داخل نسق السمات، وعلاقتها بالمقولات المعجمية والمقولات الوظيفية

الكلمات المفتاحية: الظرف، الظروف، النسق، اللسانيات، السمات.

---

[i] جامعة إربد الأهلية

Circumstantial system between Arabic and Western – a linguistic study

Abstract

This research aims to shed light on some aspects in natural conditions. We focus on the nature and vocabulary of the situational format compared to circumstances in other languages. We tried to address the following issues: Is the circumstance an independent statement? What is the nature of the circumstantial statement? And what is the functional nucleus of the conditions? Do circumstances possess metalogical characteristics (functional features) that distinguish them? And why do natural languages need the conditions? What is the nature of the adverbs in the Arabic language? And how do circumstances fall? Accordingly, we will present the structure of both cultures.

We will be exposed to the concept of circumstance and its relationship to Western terminology. We will show that the Arabic term is not comparable to its counterpart in Western grammar. We will reconsider many phenomena that the ancient grammarians did not enter into the door of circumstance, so that the terminology we use expands to new data. Then we showed some preliminary characteristics of the conditions. Then we turned to the definition of adverb in Western traditional grammar. We will address an analysis of conditions within a theory of synthetic statements and raise problems associated with the placement of conditions within the system of attributes, and their relationship to lexical statements and functional statements.

Keywords: Adverb, adverbs, format, linguistics, attributes

المقدمة:

سنتعرض لمفهوم الظرف وعلاقته بالاصطلاح الغربي. وسنبين أنّ الاصطلاح العربي لا يماثل نظيره في النحو الغربي. وسنحاول إعادة النظر في كثير من الظواهر التي لم يدخلها النحاة القدماء في باب الظرف حتى يتسع الاصطلاح الذي نستخدمه لمعطيات جديدة.

ونتيجة لذلك سنتناول بعض الخصائص الأولية للظروف. حيث سنتطرق إلى التعريف الذي وضعه النحاة العرب القدماء للظرف وسنقف عند المقاييس التي اعتمدوها. ثم ننتقل إلى تعريف الظرف في النحو التقليدي الغربي. وسيكون ذلك منطلقا لتقديم تصورنا للظروف؛ حيث سنبين أن الظرف مقولة طرازية. بمعنى أن المفردات التي تشكل النسق الظرفي لا تنتمي بنفس الدرجة إلى "مقولة الظرف" أو سيمكننا ذلك من تفسير الحدود غير الواضحة أحيانا بين الظروف ومقولات أخرى (كالحدود بين الظروف والحروف). ومتابعة للحديث سنقدم تحليلا للظروف داخل نظرية للمقولات التركيبية. وسنثير مشاكل ترتبط بوضع الظروف داخل نسق السمات، وعلاقتها بالمقولات المعجمية والمقولات الوظيفية. ونعتقد أن إحدى خصائص الظروف في اللغة العربية أنها وحدات فقدت بنيتها الموضوعية.

الظرف بالعربية وعلاقته بالاصطلاح الغربي.

1. المفهوم والاصطلاح

1.1. ظرف–adverb

عادة ما يوضع المصطلح العربي «ظرف» في مقابل المصطلح الأوروبي «adverb». ونجد في الأدبيات الاستشراقية حديثا عن العلاقة بين المصطلحين، وعن دقة ترجمة «adverb» بالمصطلح النحوي القديم «ظرف» "[ii]. وقد يكون ذلك مناسبة لطرح مسألة وجود «الظروف» في اللغة العربية. لذلك فإن القضية تتعدى مسألة المصطلح إلى المفهوم. فالمقارنة بين المصطلحين–المفهومين تفضي بنا إلى طرح سؤال جوهري في دراسة هذه الظاهرة وهو ما الظرف؟

[ii] يشير كيوم (1988) إلى أن ميركس Merx (1889) كان أول من وضع مصطلح ظرف في مقابل adverb وقد طرحت المسألة في دراسات مستشرقين آخرين مثل فليش. و للقضية علاقة بتأثير المنطق الأرسطي في النحو العربي خاصة فيما يتعلق بالمقولات(انظر فرستيغ Versteegh 1977 الذي يشير إلى العلاقة بين معنى ظرف (وعاء) و لفظة Angeion التي استخدمها أرسطو).

والسؤال هذا يحيلنا إلى المصطلح الغربي حتى يتبين المقصود بكلمة «ظرف بصورة دقيقة، و يمكن صياغة هذه المشكلة في السؤال الآتي : هل نقصد بمصطلح الظرف المعنى الذي وضعه النحاة العرب القدماء أم نقصد به ما يقابل الـ adverby في اللغات الأوروبية؟ تظهر المقارنة الأولية بين المصطلحين أنّ هناك اختلافا بينهما على مستوى: المفهوم والوحدات الممثلة لهذا المفهوم. يُعرف النحو العربي القديم الظرف بأنه اسم الزمان والمكان المنصوب بتقدير «في»، يركز التعريف فيما يبدو على:

1) انتماء الظروف إلى مقولة الاسم؛ 2) الدلالة المعجمية على الزمان و المكان؛ و 3) إعراب النصب الذي يظهر على الظروف، أما النحو الغربي التقليدي فإنه يُعرف الـ«adverb» بأنه كلمة ثابتة (invariable) أو مبنية تنطبق على كلمة أخرى (فعلى أو صفة) وتغير (modify) معناها، وهو يخصص معاني عديدة كالزمان والمكان والكيف والأداة وغير ذلك يعتمد هذا التعريف على معيارين أساسيين : أحدهما شكلي يتمثل في أن الوحدات المنتمية إلى هذه المقولة لا تتغير صورها، وهي بذلك شبيهة بالحرف أو ما يدعى الأدوات (particles)، و الثاني وظيفي يشير إلى مفهوم النعت (modification)؛ إذ توصف هذه الكلمات بأنها نعوت (modifiers)

نستطيع أن نتبين الفرق بين المقاييس المعتمدة في تعريف الظرف و adverb في الأدبيات العربية و الغربية. فالنحاة يدخلون الظرف في المنصوبات أو المفاعيل، لذلك يلجأون إلى إعراب النصب للتمييز بين ما هو ظرف وما ليس ظرفا.

أما النحاة الغربيون التقليديون فهم يشيرون إلى الصورة التي لا تتغير للكلمات الممثلة لـ .adverb. ولعل أهم ما يميز هذه الوحدات المعجمية هو أنها نعوت، ويبدو أن التعريف النحوي القديم لا يقدم مقابلا لهذا المفهوم (النعت). لكن هذا لا يعني أن النحاة العرب القدماء لم يدركوا العلاقة الموجودة بين الظرف والفعل. بل إنهم صاغوا مفهوما نعتقد أنه يلعب دور النعت في النحو الغربي، هو مفهوم التعلّق. ومصطلح التعليق في علم النحو يعني إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية من خلال واسطة تسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية ومن أي من يأتينا يريد صلتنا فنحدثه، أمثلة ذلك ما ذكره سيبويه في كتابه معلقا على مبدأ التعليق في شبه الجملة، فوصف الجار والمجرور وتعلقهما بالفعل، فقال: وتقول: "أيّ من يأتينا يريد صلتنا فنحدثه"، فيستحيل في وجه ويجوز في وجه، فأما الوجه الذي يستحيل فيه فهو أن يكون الفعل (يريد) في موضع (مريد) إذا

كان حالا فيه وقع الإتيان، والسبب أنه معلق بـَ (يأتينا)، والحال نفسه في جملة : أي من رأيت في الدار أفضل؟ فالجار والمجرور متعلقان بالفعل (رأيت)[iii].

فالظروف عندهم من المتعلقات بالفعل أو غيره. بل إنه، في نظرنا، أكثر دقة من النعت؛ إذ إن النحاة أشاروا صراحة أو ضمنيا إلى مفهوم الحدث. وهذا أمر لن نجده إلا في نظرية الدلالة الصورية.

ويبدو أن دلالة الظروف على الزمان والمكان هي الجانب الذي يشترك فيه النحو العربي القديم والنحو الغربي التقليدي. طبعا لا نجد في النحو العربي ذكرا لمفاهيم مثل الكيف أو الدرجة التي تعد أساسية في دلالة الظروف، وهذا يفضي بنا إلى الحديث عن الجانب الثاني في المقارنة، أقصد الكلمات الممثلة لكل مفهوم.

ينطبق التعريف النحوي للظرف على جميع ظروف الزمان لأنها تقبل النصب بتقدير «في» سواء أكانت معربة أم مبنية، مصروفة أم غير مصروفة، متصرفة أم غير متصرفة، وتدخل فيه ظروف المكان التي تقبل النصب بتقدير «في»، و هو المبهم، بهذا المعنى وتستجيب لهذا التحديد مجموعة من الكلمات نذكر منها: اليوم، غدا البارحة، الآن، أمس، سحر، عشاء، قبل، بعد، قط، يمينا، شمالا، فوق، تحت، فرسخا، ميلا ....إلخ

2. أما التعريف الغربي فإنه ينطبق أساسا على كلمات تتوزع على مجموعتين:

أ) مجموعة من الكلمات ذات صورة ثابتة، بمعنى أنها غير مشتقة من كلمات أخرى، أمثلة ذلك:
maintenant /now, hier /yesterday, ici/ here trés / very...

ب) وتضم المجموعة الثانية كلمات مشتقة من كلمات أخرى بواسطة وسائل اشتقاقية منتجة. ونمثل لذلك بالنسقين الإنجليزي والفرنسي اللذين يشتقان بصفة منتجة طبقة واسعة من الكلمات بإضافة لاصقة ly– و ment– إلى كلمة أخرى (صفة أو اسم)، و تتوزع هذه الكلمات إلى طبقات دلالية، فيما يدعى «ظروف الحمل» و «ظروف الجملة»، ونمثل لهذه المجموعة بالكلمات الآتية

[iii] العجمي، سعد ناصر، التعلق القبلي والبعدي لشبه الجملة، مجلة كلية دار العلوم، المجلد 39، العدد 139، جامعة القاهرة. وينظر الكتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر متبة الخانجي

: rapide–evidemment/certaunment/certainly/lentement//slowly ment// quick–ly / obviously….

تفيدنا المقارنة بين الظروف و الـadverbs في تسجيل ملاحظتين أساسيتين:

– الأولى هي أنّ الظروف كما تصورها النحاة تمثل مجموعة فرعية لما يقصده النحو الغربي بمصطلح adverbs. فليس هناك تطابق تام بينهما.

– الثانية هي أنّ الكلمات التي نستخدمها لترجمة بعض الوحدات في اللغات الأخرى ليست معدودة في الظروف عند النحاة العرب. ونوضح ذلك بالأزواج التالية: جدا/ very بسرعة / quickly تصم / completely، طبعا / evidently و ربما / perhaps ... إلخ.

تدفعنا الملاحظة الثانية إلى طرح السؤال الآتي: هل يمكن أن نعد كلمات مثل تماما، طبعا، جدا ظروفا؟ إن التحليل الذي سنقدمه لها يجعلها ظروفا، بالتأكيد ليس بالمعنى النحوي القديم. لكن الاكتفاء بهذا الجواب تبسيط للمسألة. لذلك سنستطرد قليلا في هذه النقطة.

لنتأمل أولا الأمثلة الآتية:

(1) أ– قال تعالى: (إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) [iv]

ب– قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)[v]

(2) أ. (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا)[vi]

ب. (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا)[vii]

(3) (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) [viii]

(4) (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا)[ix]

(5) كلمتُهُ مشافهة

(6) أ. لا أطيقُه بغضا

ب. هذا الحفل أحسن تنظيما

[iv] سورة نوع، الآية 8.

[v] سورة الأعراف، الآية.55

[vi] سورة الأعراف، الآية 56.

[vii] سورة الأنفال، الآية 47.

[viii] سورة النساء، الآية 157.

[ix] سورة الأنعام، الآية 140.

تشترك الكلمات المنصوبة السابقة في الآيات في خاصية أساسية هي أنها مصادر، وهي تؤدي بالنسبة للنحاة وظائف عديدة، كالمصدر المبين لنوع الفعل (1أ–ب، 4)، أو المصدر النائب عن الحال (5،3،2) أو التمييز (6). وهي تقوم فيما يظهر بما تقوم به الطبقات الدلالية للظروف في اللغات الأخرى. وتتضمن كتب النحاة وكتب إعراب القرآن والتفسير إشارات لطيفة تكون لها دلالة كبيرة إذا قارناها باستخدام الظروف في اللغات الأخرى. فالمصادر تبين نوع الفعل. و هكذا يبين المصدر (جهارا) نوع الدعوة. يقول ابن عاشور في معرض تفسيره للمثال (7): « سفها منصوب على المفعول المطلق المبين لنوع الفعل: إنه قتل سفه لا رأي لصاحبه، بخلاف قتل العدو وقتل القاتل»[x]. إنّ هذا الكلام لا يختلف عن تعريف النعت وهو يعني أن الظرف يصنف الفعل ويحدد نوعه.

ومن بين ما يثير الانتباه ما أسماه النحاة المصدر النائب عن الحال (2 أ–ب، 3) حيث يؤول المصدر بالدلالة على الفاعل. ويمكن أن نقول إن المصدر النائب عن الحال يعادل ما تسميه الأدبيات subject–oriented adverbs. ومن ألطف ما نجده الإشارة إلى الاختلاف في التأويل بين الدلالة على الكيف أو الاتجاه إلى الفاعل. يقول ابن عاشور تعليقا على الآية الكريمة **(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)**[xi] و " **مَرَحًا** " مصدر وقع حالا من ضمير " **تَمْشِ** " و تأويله باسم الفاعل أي لا **تَمْشِ** مارحا أي مشية المارح، أي هي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر. ويجوز أن يكون " **مَرَحًا** " مفعولا مطلقا مبينا للفعل **تَمْشِ** لأن للمشي أنواعا منها ما يدل على أنّ صاحبه ذو مرح. فإسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي. والمشي مرحا أن يكون الماشي بتمايل وتبختر في المشي شدة وطء على الأرض وتطاول في بدن الماشي [xii]. يحيلنا هذا الحديث إلى النقاش الذي تتضمنه الأدبيات اللسانية الحديثة حول طبقة الظروف التي تتيح قراءتين: قراءة الكيف والقراءة التي يكون فيها الظرف موجها نحو الفاعل ويشير إلى الحدث ككل.

إن الغرض من هذه الإشارات ليس تأويل وترجمة مفاهيم تقليدية فقط بل بيان أنّ الحديث عن الظروف العربية بالصورة التي نريدها يفرض علينا النظر في ظواهر أخرى لم يدرجها النحاة القدماء ضمن الظروف. ولكنها تتصل بها من قريب. وما يبرر هذا التوسع في مفهوم الظرف هو القدماء

---

[x] ابن عاشور محمد الطاهر،ج8، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ص147، تونس، 1984

[xi] سورة لقمان، الآية 18.

[xii] تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص103

أنفسهم أشاروا إلى العلاقة بين هذه المفاهيم. فتحدثوا عن العلاقة بين المصدر والظرف[xiii]؛ إذ إنّ الفعل يطلبهما؛ لأنه يدل على الحدث والزمن. وأشاروا إلى العلاقة بين الظرف والحال؛ إذ يقدرون الحرف (في) في كليهما[xiv]. ونجد هذه الصفة في حديثهم عن النيابة كنيابة المصدر عن الحال ونيابة عن الظرف. ومما يوحد نظرتهم إلى هذه الظواهر أنهم أدخلوها ضمن المفاعيل أو المنصوبات. وأخيراً، فقد أدرك النحاة العلاقة بين الظرف والحدث حين صاغوا مفهوم التعلق فجعلوا الظرف متعلقًا بالحدث وليس الفعل. ويمكننا القول إن ما نريدوه بالظرف يتجاوز الاستخدام العربي القديم الذي يحصره في ظرف الزمان والمكان. وهو بالتالي يدخل مفاهيم متعلقة به هي المفعول المطلق المبين لنوع الفعل، المصدر النائب عن الحال، المفعول لأجله والتمييز.

3. الظروف والظرفيات

رأينا مما سبق طرحه أنّ الظروف يمكن أنْ تقابل المصطلح Adverb الذي تستخدمه اللغات الأخرى. لكن هناك مصطلحات أخرى تستخدم إلى جانب هذه الكلمة. ونذكر منها مصطلحي adverbial (ظرفي) و circumstantial (ظرفية). وتميز الأدبيات عادة بين الظرف والظرفي على أساس أنّ الأول يحيل إلى مقولة ''مقولة'' قائمة بذاتها كما نجد في الأنحاء التقليدية. أما الظرفي فهو يشير إلى الوظيفة التي يمكن أن تقوم بها مقولات أخرى تقربها من وظيفة الظروف. فيتحدثون عن المركبات الحرفية الظرفية (adverbial PPs) والمركبات الاسمية الظرفية (adverbial NPs) والجمل الظرفية (adverbial clauses). فالفرق بين المصطلح الأول والثاني، فيما يبدو، هو أنّ الأول "مقولي" والثاني "وظيفي"، لكن الأدبيات تستخدم أحدهما مكان الآخر[xv]. وهو ما يفيد أن الحدود بينهما ليست دقيقة. لكن الفروق بين الظروف والظرفيات أوضح. وهي لا تهم فقط شكلها ولكن أيضا طرق تمثيلها وتسويغها[xvi]. فالظروف في اللغات الأوروبية تميز غالبا بواسطة لاصقة (...ment / ly)، بينما تأتي الظرفيات على شكل فضلات حرفية لتعبر عن

[xiii] مجيد نوط عبيد، الادعاء وما يطابقها من الناحية النحوية، مجلة الفتح للبحوث التربوية والنفسية، جامعة ديالى، العراق العدد السابع والعشرون،2006

[xiv] النجار، محمد عبد العزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، 2/158، دار الكتب العلمية بيروت، 1998.وينظر معجم علوم اللغة العربية، لمحمد سليمان عبد الله الأشقر، ص،272 ، مؤسسة الرسالة، بيروت،1995. وينظر أوضح المسالك ص.49

[xv] عبد اللطيف شوطا، طبقات الأفعال في اللغة العربية تحليل دلالي معجمي، جامعة الحسن الثاني، المحمدية 2000 الدار البيضاء

[xvi] نشير في هذا المقام إلى أن الظرفيات (circumstances) توضع أحيانا في مقابل الموضوعات (arguments). وهذا يؤدي إلى تحييد التمييز بين الظروف والظرفيات. إذ يكون الأهم هو دراسة الاختلاف بين الموضوعات والظروف/الظرفيات بالنظر إلى بعض العمليات التركيبية كالنقل والربط وغيرها (أنظر بولوك 1988).

المكان أو المعية أو الأداة. وهكذا فإن وحدات مثل "تماما"، "completely"، "lentement"، ظروف بينما "مع صديقي"، "في الجامعة"، "at the university" هي ظرفيات. ويشير شينكوى (1997)، والقاسي الفهري (1997، 1998) إلى فرقين جوهريين بين الظروف والظرفيات: أولهما أنّ الظروف تخضع في سلسلتها لسلمية كلية بينما لا تخضع الظرفيات لتراتب صارم. وثانيهما أنّ الظرفيات تتبادل الأحياز فيما بينها بمعنى أنها غير حيزية (scopeless). وينعكس هذا التمييز على مستويات التسويغ. فالظروف مخصصات لإسقاطات وظيفية. أما الظرفيات فهي ملحقات داخل بنية مركب فعلي مقوقع .

لكن هذا التفريق ليس دائما إجرائيا، خصوصا إذا توارت الظروف والظرفيات في نفس الجملة؛ إذا يمكن أن يتبادل الظرف والظرفية الحيز دون أن يتأثر صدق الجملة. ونمثل لذلك ب (7):

(7) أ. Kim Kissed Mary passionately on the porch

ب. Kim Kissed Mary on the porch passionately

إلا أن الأهم في هذا التمييز هو أنه ينطلق من تصور معين لمفهوم الظرف ذاته وهذا ما سنتعرض له في الفقرة القادمة.

4. النسق الظرفي: ملاحظات عامة

من خلال استعراض ما ذكره الباحثون نستنتج بإنهم ليسوا متفقين حول طبيعة الظروف وخصائصها الداخلية وتفاعلها مع مبادئ النظرية ومفاهيمها. وهدفنا مقاربة بعض الإشكالات الجوهرية في دراسة الظروف ومكانتها داخل النظرية العامة للمقولات. وسنحاول، جهدنا، الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمها: ما الظروف؟ ما الخصائص العامة لنسق الظروف في اللغة العربية؟ ما وضع الظرف داخل النظام العام للمقولات؟

5. تعريف الظرف

1.5 الظرف في النحو العربي

تهدف هذه الفقرة الفرعية إلى كشف أهم الأسس التي ارتكز عليها التحليل النحوي العربي القديم للظروف. وسنقوم بتوضيح المفاهيم التي اعتمدها النحاة لتعريف الظروف؛ لأن ذلك يشكل مقدمة لطرح تصورنا للظروف في اللغة العربية.

تعرف كتب النحو الظرف بأنه اسم الزمان والمكان المنصوب بتقدير "في". يقول ابن يعيش: "واعلم أن الظرف في علل هذه الصناعة ليس كل اسم من أسماء الزمان والمكان على الإطلاق. بل الظرف منها ما كان منتصبا على تقدير "في" واعتباره بجواز ظهورها معه"[xvii]. إن هذا التعريف يقدم المعايير الضرورية لتعريف الظرف وتمييزه من غير الظرف.

وتركّز كتب النحو على جانبين: أولهما الدلالة المعجمية للظروف وثانيهما إعراب النصب الذي يظهر عليها. فالظروف تدل على زمان أو مكان بخلاف الأسماء التي تدل على أشياء أو أشخاص[xviii]. وتقوم الظرفية في جزء منها على هذه الدلالة المعجمية. يقول الخوارزمي في معرض حديثه عن صفات الأحيان: "والدال على كونها ظرفا هذا النصب. فإذا ذهب ذهبت عنه الظرفية واندرست بخلاف الظرف. فإنه ـ وإن ودعه النصب ـ لم يودعه العلم المحيط بكونه ظرفا، ضرورة أنه يبقى فيه بعد وداع الظرفية له معظم الظرفية، وهو إما الزمان وإما المكان"[xix].

وتشير كتب النحو إلى أن الظروف، أي الأزمنة والأمكنة، أوعية للأفعال. ويقصدون بالفعل الحدث. وتبدو هذه الإشارة إلى العلاقة بين الظروف والأحداث ذات أهمية كبيرة سنجدها مصوغة في أهم النظريات الدلالية للظروف في الأدبيات الحديثة المعروفة بدلالة الأحداث.

وقد وضع النحاة مفهوما أساسيا لتحديد العلاقة بين الظرف والحدث وهو مفهوم التعلق. فالنحاة القدماء لم يربطوا الظرف بالفعل بل بالحدث. يقول الاسترابادي: "المفعول فيه هو ما فعل فيه فعل

[xvii] – ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص41

[xviii] – تشير كتب النحو إلى أن الأزمنة تختلف عن الأشخاص بينما يماثلون بين الأمكنة والأفراد من حيث هي جثت منفصلة كالجبال والأودية و الدور، خلافا للأزمنة. ولذلك لم ينصب على الظرفية إلا ما كان مبهما من الأمكنة. ينظر استيتية، سمير، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، طبع 1، منشورات اربد، 1995.

[xix] – شرح المفصل الموسوم بالتخمير، ص402.

مذكور من زمان ومكان. يعني بقوله فعل مذكور الحدث الذي تضمنه الفعل"[xx]. هذه الإحالة إلى الحدث هي التي تميز بين (8أ) و (8ب):

(8) أ. يوم الجمعة مبارك

ب. سافرت يوم الجمعة

ف "يوم الجمعة" في (8ب) ظرف لأنه متعلق بالحدث الذي يدل عليه فعل "سافرت"، أما (11أ) فإنه ليس ظرفا على الرغم من تضمنه معنى الزمن. ويتأكد هذا الارتباط بين الظروف والأحداث عند مناقشة النحاة لمسألة تعلّق الظرف بالفعل الناقص والفعل الجامد. ومرد الخلاف بين النحويين إلى دلالة هذه الأفعال على الأحداث أو عدم دلالتها عليها.

وتُعرف الظروف بإعراب النصب الذي يظهر عليها. فقد اشترط النحاة أن يكون الظرف منصوبا ولم يحترزوا بذلك من الحالات التي تكون فيها أسماء الزمان والمكان فواعل أو مبتدآت فقط، بل احترزوا أيضا من ورود الظرف مجرورا بالحرف خاصة "في". وهناك علاقة وثيقة في تصورهم بين الظرفية والحرفية. فيتحدثون أحيانا عن الخروج من الظرفية إلى شبهها وهو الجر بالحرف. فإذا لم يكن الظرف منصوبا لم يعد ظرفا عندهم. يقول ابن السراج: "فما نصب من أسماء الزمان فانتصابه على أنه ظرف، وتعتبره بحرف الظرف. أعني "في". فيحسن معه فتقول: قمت اليوم. وقمت في اليوم. فأنت تريد معنى "في". وإن لم تذكرها. ولذلك سميت ـ إذا نصبت ـ "ظروفا"[xxi]. والنصب في الظروف قد يكون ظاهرا كما في المعربات أو في المحل كما في المبنيات.

وانطلاقا من هذا التحليل، فإن النحاة يميزون بين الظرف وبين الحرف [xxii]. فإذا سطح الحرف كففنا عن الحديث عن الظرف. لذلك سنجعل إعراب الظاهر على الظرف معياراً أساسياً لتحديدها في تصورنا.

وترتبط بمسألة النصب الذي يتميز به الظرف مساحة التقدير، فلنحاة لا يفتؤون يتحدثون عن اعتبار الحرف «في» في نصب الظروف، ويبدو أنهم يميزون بين ثلاث ظواهر: الأولى هي الظروف التي تنصب بتقدير «في»، ويكون فيها ظهور الحرف اختيارياً، وينطبق ذلك على الظروف الحقيقية وهي ظروف الزمان كلها لأنها تقبل النصب على الظرفية. والثانية هي بعض أسماء المكان التي لا

[xx] – شرح الكافية في النحو.

[xxi] – الأصول، ج1، ص190

[xxii] سمارة، ماريا، سقوط حرف الجر سماعاً (دراسة نحوية)، جامعة النجاح غزة،2010، ص55.

تقبل النصب بتقدير «في» وتفرض ظهور الحرف كالمكان المختص، والظاهرة الثالثة هي أسماء المكان المختص التي تنصب مع أفعال خاصة مثل «ذهبت الشام» ومقرات مكة» [xxiii]و هي تمثل لهذه الأصناف على النحو الآتي:

(9) أ. وصلت اليوم

ب. وصلت في اليوم

(10) أ. * جلست جوف الدار

ب. جلست في جوف الدار

(11) أ. ذهبت الشام

ب. ذهبت إلى الشام

فالظرف الحقيقي لا تمثله إلا (9أ). والنصب هنا يختلف عن النصب في (11أ). فالأول نصب على الظرف والثاني نصب على الاتساع بأن جعل مفعولا به توسعا.

وقد طرح النحاة العلاقة بين الظرفية والاتساع وربطوهما بتقدير «في». فالتقدير يمكن من التمييز بين الظرف والمفعول به. ويظهر ذلك في الإضمار (9 أ – ب) والإضافة (13 أ–ب):

(12) أ. يوم الجمعة سرت فيه

ب. يوم الجمعة سرته

(13) أ. هذا ضارب يوم الخميس

ب. طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

فيوم الجمعة منصوب على الظرفية لأن «في» ظهرت عند الكتابة عن الظرف (12)، بينما هو مفعول به في (12 ب). كما أنه لا تجوز الإضافة إلى الظرف، وعلى هذا يكون اسم الزمان (ساعات) في (13 ب) منصوبا على المفعولية لأنه أضيف إلى اسم الفاعل.

وللمسألة علاقة باستغراق الظرف للحدث وهي قضية تأويلية، فالفرق بين (12أ) و (12ب) هو أنّ السير في الأولى يمكن أن يكون وقع في اليوم أو في بعضه، بينما يستغرق اليوم كله في (14 اب). ويظهر هذا أيضا في البناء لغير الفاعل أيضا (12 أ–ب):

[xxiii] عبد اللطيف شوطا، تناظر والأوضاع وطبقات الأسماء ضمن المركبات الأسمية والحدية في اللسانيات المقارنة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1999.

(14) أ. سهرَ ليلة الأحد

ب. سهرتُ ليلة الأحد

ويذهب بعض المتأخرين (ابن طراوة كما حكاه صاحب البسيط) إلى أن الظرف لا يكون ظرفا إلا إذا لم يملأ. وعلى هذا فهو يجعل «يوم الجمعة» في «صمت يوم الجمعة» مفعولا به وليس ظرفا. وقد استدل ابن أبي الربيع الإشبيلي في «البسيط» على أن للمسألة علاقة بجوانب متعددة نذكر منها:

1) طبيعة الفعل والحدث الذي يدل عليه. فهناك أحداث تستغرق مددا متفاوتة. مثل «جلس» فالجلوس قد يستغرق يوما أو بعض يوم. خلافا لفعل «لقي» الذي هو لحظي. وهناك أفعال تقتضي حمولتها الدينية استغراق الظرف كله. وهذا ما توضحه الأمثلة. حيث إنّ اسم الزمان «يوم الجمعة» ظرف في كل منها:

(15) أ. جلست مع صديقي يوم الجمعة

ب. لقيت صديقي يوم الجمعة

ج. صمت يوم الجمعة

2) الظروف التي تكون جوابا لِكمْ. فيكون الظرف مستغرقا للحدث كله. أو حين يكون عددا. مثل «سرت الثلاثين يوما». فالسير واقع في الثلاثين يوما كلها. وألحقوا بذلك أسماء الشهور. فعندما نقول «سرت رمضان» فالسير وقع فيه كله. وقد فرّق سيبويه بين قولنا «سرت رمضان» و «سرت شهر رمضان» على أساس هذا الاستغراق. ويدخل في هذا الباب الظروف الدالة على الدهر والأبد. ومن القضايا التي تطرحها الظروف داخل التصور النحوي القديم مسألة العلاقة بين الظروف والمقولات الأخرى، وخاصة الاسم والحرف. فالنحاة يصرحون في تعريفهم للظروف بأنها أسماء منصوبة.

وهذا يحدد علاقتها بالاسم ومن ثم فهي ليست مقولة مستقلة، بمعنى أنها ليست قسما من الكلم قائماً بذاته. وقد درسوا علاقتها بالحروف وفرقوا بين الظرف والحرف وإن كانت بينهما علاقة شبه طبيعية [xxiv]

[xxiv] التمييز بين الظرف والحرف هو في حقيقة الأمر جزء من التقليد البصري، أما نحاة الكوفة كالفراء والكسائي فإنهم كانوا يتحدثون عن حرف الخفض ويدخلون فيها كلمات جعلها نحاة البصرة ظروفاً، بل إن مصطلح ظرف ذاته بصري؛ إذ كان نحاة الكوفة يستخدمون مصطلحي صفة ومحل (انظر ابن سراج، الأصول في النحو، ج1).

لكن اللافت للنظر هو أن النحاة أشاروا أيضا إلى مسألة إيجاد أنموذج للظروف، ويظهر هذا في مناقشتهم لتصرف الظروف أو عدم تصرفها، فهم يميرون من الظروف المتصرفية التي لا تلازم النصب على الظرفية والظرفية غير المتصرفة. وهي التي لا تستعمل إلا ظروفا، وقد تسألوا عن الأصل في الظروف، أهو التصرف أم عدمه، يقول ابن أبي الربيع الإشبيلي: «والأصل في الظروف أنْ تكون متصرفة توجد فاعلة أو مفعولة على حسب ما توجد عليه الأسماء كلها وعدم التصرف فيها خروع عن القياسي فيجب في الظرف الذي لا يتصرف أن يسأل عن العلة التي منعت تصرفه، وكان بن أبي ملكون يقول « الأصل في الظرف عدم التصرف، ومتى وجد الظرف متصرفا، فيجب أن يسأل عن العلة التي أوجبت تصرفه[xxv]

لنلخّص الآن مفهوم الظرف عند النحاة. فهم يطلقون الظرف على أسماء الزمان والمكان المنصوبة بتقدير «في». ويدخل فيه ظروف الزمان المبهمة منها والمختصة (يوم، حين، دهر، يوم، الخميس، ليلا، عشاء، سحر، قبل، عوض، قط،إذ، منذ،إذا...إلخ). ويلحقون بها صفات الأحيان (طويلا، حديثا، حثيثا، دائما، واصبا، قليلا) والمصادر النائبة عن الزمان (خفوق النجم، مقدم الحاج،...وتدخل فيه ظروف المكان المبهمة، وهي المبهمات(الجهات الست: يمين، شمال، خلف، أمام، ...) والمقدرات (فرسخ، ميل، بريد)، لأن كل الأفعال تنصبها. وهناك المشتقات التي تنصبها على الظرفية الأفعال المشتقة منها (جلست مجلسه، قمت مقامه ...).

تحدثت كتب النحو القديمة منها والحديثة عن الظرف بنوعيه الزمان والمكان وما يتفرع منهما من أقسام، حيث قسَّم علماء النحو الظرف إلى أقسام عدة من حيث الإبهام والاختصاص، والبناء والإعراب، والتصرف وغير التصرف، والانصراف وغير الانصراف والعد وغير العد والتأسيس والتوكيد... الخ.

وعلى ذلك ينقسم الظرف بنوعيه الزماني والمكاني إلى متصرف وغير متصرف

أ–ظرفٌ متصَرِّفٌ، وهو الذي يَصلُحُ أن يكونَ ظَرفًا، ويصلُحُ أن يكون مُبتَدَأً أو خَبَرًا أو مفعولًا أو غيرَ ذلك، مِثلُ: يوم، شهر، حول، عام، غدوة، بُكْرة، لَيل، نهار، صباح، مساء...

[xxv] ابن أبي الربيع، ن.م.ص:482. ويشير النحاة في حديثهم عن الظروف المتصرفة والظروف غير المتصرفة إلى الفرق بين ما يستعمل ظرفا واسما (المتصرف) وما يستعمل ظرفا لا غير، أي لا يستعمل اسما (وهو غير المتصرف). وهذا يعني أنهم يقصدون التمييز بين الظرف والاسم. وقد يكون ذلك مؤشرا على بعض التذبذب في تحليلاتهم. وما يدل على أن الظرفية أصل في أسماء الزمان والمكان أنهم يجعلون استعمالا في غيرها نوعا من (الاتساع).

تَقولُ: اليومُ يومٌ جميل، سرتُ نصفَ يومٍ، ذكرتُ يومَ جئتني ... ففي المثال الأوَّلِ وقع (يوم) مُبتَدَأً وخَبَرًا، وفي المثالِ الثَّاني مضافًا إليه، وفي المثالِ الأخيرِ مفعولًا به، وهكذا.

ب–الظروف غير المتصرفة وهي التي تلزم الظرفية والبناء. وقد تخرج إلى الجر بمن (إذا جرت لم تعد ظرفا)، ويدخل فيها ظروف مثل: قط، سواء، لدى، الدين، فوق، تحت، وغيرها. وإنما كانت غيرَ متصَرِّفةٍ؛ لأنَّها فارقت الظَّرفيَّةَ إلى شِبهِ معناها[xxvi].

وإجمالا يمكن صياغة التصور النحوي للظروف في افتراضين أساسيين: أولهما أنّ الظرفية بمعنى النصب على الظرف، هي الأصل في استعمال أسماء الزمان وبعض أسماء المكان، وثانيهما أن الأصل في الظروف هو عدم التصرف. ومن ثم يمكن الحديث عن فئة محددة من الوحدات يمكن أن يبنى عليها النسق الظرفي في اللغة العربية. كما أنه يوفر لنا أساسا لتمييز ما هو ظرف مما ليس ظرفا. إن الفكرة التي نطرحها هي أن هناك وحدات تحقق الخصائص النووية للظروف، وكلما ابتعدنا عنها اقتربنا من مقولات أخرى كالاسم أو الحرف[xxvii].

6.. الطروف في الأدبيات الغربية

اعترف النحو العربي التقليدي بالظروف adverbs على أنه مقولة مستقلة في لائحة المقولات العامة ومنذئذ والناس في بحث مضن عن طريقة لتعريفها و تمييزها عن المقولات الأخرى، بل إن هناك مَن يتهيب لإعطاء تعريف دقيق لها فيكتفي بالقول إنه يمكن التعرف عليها وإن كان صعبا تعريفها. وينقل كيميي(1990) Guimier أقوالا تعود إلى القرنين الخامس عشر و السادس عشر تشير إلى ، الصعوبات التي تواجه من يحاول تعريف الظرف[xxviii].

وبالرغم من ذلك فإن النحو التقليدي سعى إلى إعطاء تعريف للظروف نجده في أغلب كتب النحو، وتؤكد جل التعريفات على ثلاثة جوائب أساسية:

[xxvi] رواجية، بشير راضي، الظروف في ديوان الأعشى، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح نابلس 2007،ص62.

[xxvii] ينظر محمد ديب الجاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية، ط1،2010، دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة

[xxviii] يشير لالو(1988) إلى أن اللائحة الاعتيادية للمقولات الثمانية اكتملت مع نحاة الإسكندرية حيث ظهرت مقولة Adverbium لأول مرة ونجد هذه اللائحة عند دنيس لوتراس Denis Le Thrace

أ- كلمات ثابتة غير مصرفة (indeclined)؛ ب - العلاقة بين الظرف وكلمة أخرى (خاصة الفعل). ويستعمل مفهوم النعت (modification) لوصف هذه العلاقة، ج-دلالات الظروف حيث تصنف إلى طبقات دلالية.

7.الظروف والصرافة

تخصص الظروف في اللغات الأوروبية بأنها كلمات لا تتغير صورتها. ويقصدون بذلك جانب التصريف. فهي لا تصاحبها مقولات نحوية (وظيفية). وهذا ما يجعل منها وحدات معجمية مستقلة لا يتغير شكلها أو بنيتها في جميع السياقات التي تظهر فيها. وذلك ما يميزها عن المقولات الأساسية كالاسم والفعل والصفة (التي تكتسب خصائصها النحوية من التطابق مع الاسم الذي تنعته). بخلاف الظرف الذي لا يكتسب أي مقولة وظيفية. هذه الخاصية الشكلية تشترك فيها الظروف والحروف والأدوات عموما. وينطبق هذا التحديد على مجموعة من الكلمات مثل trop، tres، very ،probably، quickly، often، here، however، perhaps، beaucoup وكلما كانت الظروف هدفا لعمليات صرفية كالاشتقاق مثلا اقتربنا من المقولات الأخرى. ومن الأمثلة على ذلك، الظروف التي تشتق بواسطة صرفية ment / -ly- أو بإضافة جذع مثل wise في الإنجليزية stepwise، likewise otherwise،contrariwise) أو weise- في الألمانية.

تفرض علينا هذه الملاحظات طرح سؤالين جوهريين: أ- لماذا فقدت الظروف خصائصها النحوية؟ أو بعبارة أدق: لماذا لا توجد مقولات وظيفية خاصة بالظروف ؟.

ب- كيف نؤول بعض المقولات الوظيفية التي تظهر مع الظروف في لغات أخرى، كالإعراب في الظروف العربية واليونانية ؟

يبدو من الصعب الإجابة عن السؤال الأول بصورة حاسمة. لكن الذي نستطيع قوله في هذا الباب هو أنّ حل هذا المشكل يرتبط بطبيعة المقولة الظرفية ذاتها. ويمكن أن نورد اقتراحين لتفسير غياب مقولات وظيفية خاصة بالظروف. مصدر الرأي الأول هو كيميي (1986)الذي يربط ذلك بعملية فقدان النحوية (degrammaticalisation). ويتصل ذلك بأن الظروف فقدت محتواها المفهومي. فغياب مفهوم تدل عليه الظروف يفسر غياب مقولات نحوية أو وظيفية تجسد نحويا هذا المفهوم، بخلاف الاسم والفعل.

والرأي الثاني يربط هذه الخاصية بالإحالية (referentiality). نجد هذا عند دشين(1993) Déchaine التي تميز بين مقولات إحالية وأخرى غير إحالية؛ إذ يمثل الاسم والفعل المقولات الإحالية بينما تمثل الصفة والظرف والحرف المقولات غير الإحالية. ومن ثَم، فوجود مقولات وظيفية مصاحبة للاسم والفعل راجع، بلا خلاف، لهذه الخاصية الإحالية. فالحد والزمن وظيفتهما الدلالية مرتبطة أساسا بالإحالة. ولذلك تفسر دشين غياب مقولات وظيفية خاصة بالظرف إلى كونها غير إحالية.

إنّ هذا الإشكال يدفعنا إلى طرح مسألة تتعلق بكيفية تأويل بعض المقولات النحوية التي تصاحب الظروف مثل الإعراب. وهذه القضية نصوغها في صورة أسئلة منها: هل الإعراب في الظروف مقولة وظيفية تلعب دورها الاعتيادي؟ هل تشكل إسقاطا خاصا يعلو الإسقاط المعجمي للظروف؟.

8. الظروف نعوت

تنطبق الظروف على كلمات أخرى لتنعتها (modify) وتعدّل معناها. لذلك فهي تعد نعوتا (modifiers). وتوضح أثالة (etymology) الكلمة في اللغات الأوروبية العلاقة بين الظرف والفعل أو أية كلمة أخرى (Adverbium في اللاتينية و Epirrhema في اليونانية). والنعت ليس مفهوما واضحا من الناحية النظرية، لأنه وصف لأشياء كثيرة. ويوضع أساسا قياسا على النعت الوصفي. فعلاقة الظرف بالفعل تشبه علاقة الصفة بالاسم. ويظهر هذا في الترادف الذي يشير إلى الأصل الوصفي للظرف. علاوة على ذلك فأغلب الظروف في جل اللغات الأوروبية (الإنجليزية والفرنسية مثلا) مشتقة من الصفات.

ومن المعاني التي تعطى للنعت أن الظرف يصنف الفعل ويحدد نوعه أو نمطه مثلما تشير الصفة إلى نوع الاسم/المنعوت. ففي تركيب وصفي مثل "الدار الحمراء" تكون الدار الحمراء نوعا للدار أو هي نمط فرعي لها. على نفس النهج يكون الضرب الشديد نوعا للضرب في قولنا "ضربه بشدة". ويرتبط النعت أحيانا بمفهوم التقييد. فيتحدثون عن النعت المقيد (modification restrictive)[xxix]

[xxix] Wyner, A.Z: Boolean Event Lattices: Thematic and Roles in The Syntax and Symantics of Adverbial Modification. Ph.D. diss.:

9.الطبقات الدلالية

من المقاييس التي تعتمد في تعريف الظروف معناها ودلالتها. والمراد بذلك المعنى الذي يضيفه الظرف إلى معنى الفعل أو الجملة. وهكذا يتحدثون عن معاني الكيف (manner) والأداة (reason) والمكان والزمان، وغير ذلك من الدلالات التي يقدمها الظرف. ولذلك تميز كتب النحو حسب المعنى بين فئات مختلفة من الظروف. لكن المشكلة التي تعترض هذا النوع من التحديد هي صعوبة حصر المعاني التي يمكن أن تدل عليها الظروف. ويتجلى ذلك في عدد الطبقات التي يقترحها كل واحد لتصنيف الظروف. ويرجع ذلك إلى غياب مقياس موضوعي يمكننا من الاتفاق حول عدد الطبقات ونوعها والوحدات الممثلة لها. فحتى طبقة ظروف الكيف التي يتحقق بشأنها نوع من الإجماع عادت في موضع تساؤل.

10. الظروف العربية، مقاربة

10. 1. معجمة الظروف

ظهر لنا من المقاييس التي اعتمدها النحاة العرب والغربيون لتحديد مفهوم الظرف أنه لا يتحقق في صورة واحدة بل يتمعجم بأشكال مختلفة، و إذا كان تعيين ما يندرج تحت الظروف يقوم أساسا على المعايير التي نختارها لتعريفه، فإننا سننطلق من التعريف الدلالي لتحديد الوحدات المعجمية الممثلة للظرف. فإذا انطلقنا من التصور الشائع الذي يجعل الظرف كلمة تنعت كلمة أخرى بمعنى أنها تضيف إليها معنى جديدا، فإننا نستطيع التمييز بين الصور الآتية:

أ- الصفات المنصوبة[xxx]: تأتي الظروف في اللغة العربية في شكل صفات منصوبة مثل: حيدا سريعا، حديثا، مؤخرا، باكرا، كثيرا، قليلا، سياسيا ... ويمكننا التمييز بين ثلاث فئات من الصفات بالنظر إلى التباسها بين تأويلين: التأويل الحملي (predicative التي تكون فيها الصفة حملا ثانيا (secondary predicate) لأحد الموضوعات و التأويل الظرفي (adverbial) حيث تكون الصفة حملا للحدث ذاته[xxxi]

[xxx] تعد صفات الأحيان التي تحدث عنها النحاة فرعا للصفات المنصوبة.

[xxxi] حول هذا التمييز انظر لرسن وسيغل(1995) Lars&segal

– فئة الظروف الملتبسة، التي تحتمل التأويلين. ونمثل لها بالظرف سريعا في (16) و (17):

(16) وصل القطار سريعا

(17) أ. كان القطار سريعا

ب. وصول القطار حدث

– فئة الظروف غير الملتبسة، التي تحمل التأويل الحملي(18) أو التأويل الظرفي (19)[xxxii]

(20) جاء زيد راكبا

(21) أكل زيد جيدا

ب– الاسماء المحيلة المنصوبة، وهي أساسا الظروف الزمانية الإشارية مثل: اليوم، البارحة، غدا، أمس، قبل، بعد... وتلحق بها أسماء المكان المنصوبة لإحالتها على مكان مبهم: يمينا، خلف، شمالا.

ج– المصادر المنصوبة: تستعمل العربية بشكل واسع المصادر المنصوبة للتعبير عما تعبر عنه الظروف المشتقة بواسطة لاصقة ظرفية في لغات أخرى كـ عمدا، حذرا، ضرورة، حتما، أيضا، مشافهة، عيانا، سرا، جهرا...

د– الظروف المسبوقة بحرف جر: رأينا سابقا أن النحاة أقاموا علاقة طبيعية بين الطرف والحرف وهناك الظروف التي تخرج من الظرفية إلى شبهها أي الجر بالحرف، والعربية تعبر عن مفهوم الظرفية بواسطة الأسماء المجرورة بالحرف. وتمثل لهذه الطبقة بالوحدات المعجمية الآتية بسرعة، يحذر، بالضرورة، بالتأكيد، في يوم الخميس، في يوم...

وإذا تأملنا هذه الفئة من الظروف المجرورة نلاحظ أنها تظهر سلوكا مختلفا عن المركبات الحرفية العادية. فالمصادر المجرورة بحرف الباء الدالة على الكيف لا تقبل التعريف:

(22) أ. جاء بسرعة

ب. جاء بالسرعة

(23) أ. انتظرت النتيجة بصبر

ب. انتطرت النتيجة بالصبر

[xxxii] في تحليلهم لصفات الأحيان يقدر النحاة الحدث(سرت سيرا قليلً) أو الزمن (سرت زمنا قليلا). وهناك علاقة وثيقة بين الأزمنة والأحداث.

ج. ينال المرء بغيته بالصبر

*ينال المرء بغيته بصبر

(24) أ. فاز بالجائزة، بالتأكيد

ب. * فاز بالجائزة بتأكيد

(25) أ. قال ذلك بالتأكيد[xxxiii]

ب. قال ذلك بتأكيد

بخلاف ذلك ترد الظروف المحيلة إلى زمان مع الجر والتعريف (26 أ–ب) و (27 أ–ب)، وقد يرجع ذلك إلى الإحالية أو التعيين:

(26) أ. وصلت أمس

ب. وصلت بالأمس

(27) أ. سافر اليوم

ب. سافر في اليوم

وعلى أساس هذه الملاحظات نعتقد أنه من المفيد أن نميز داخل فئة الظروف المجرورة المركبات الحرفية الظرفية من الظرفيات الأخرى. وفي هذا السياق هل نعد كلمات مثل: بسرعة، بصبر، بحذر...ظروفاً؟ إذا نحن حصرنا الظروف في الكلمات المنصوبة فإن ذلك سيخرجها من طبقة الظروف. لكننا سنظطر إلى إخراج فئة الظروف في اللغة العربية هي طبقة الكيف التي تستعمل بدون لبس حرف الجر الباء. وكذلك تعدُّ ظروفا أيضا مجموعة من الوحدات الناتجة عن دمج معجمات تستعمل مستقلة في سياقات أخرى. كالتفكير هنا في الظروف القضوية التي تتألف من النفي+ اسم: لاريب، لا محالة، لاجرم، لا شك، بلا شك، دون شك، بلا ريب، وهي توازي ما نجده في لغات أخرى.

sinevitablement no doubt no doubt undoubtedly.

ومما تعبر به اللغة العربية عن النعت الظرفي، أفعال وحروف (أو حتى أسماء) اتصلت بها "ما" المصدرية.[xxxiv] ونقصد هنا كلمات مثل، قلما، طالما، عزما/ شدما (بمعنى حقا)، ربما، كلما، ريثما

[xxxiii] يختلف التأويل بين (27أ) و (27ب)، فالظرف في (27أ) ظرف جملة يعمل في الجملة ككل، بينما الظرف في (27ب) ظرف ينصب على فعل القول ذاته وبذلك فهو ظرف كيف.

[xxxiv] وحول المعطيات من لغات أخرى، أنظر راما & ريكا (1994).

وتوضح الجمل في (28) علاقة التناسب بين هذه الوحدات والظروف:

(28) أ. أذهب إلى السينما قليلا

ب. قليلا ما أذهب إلى السينما

ج. قلما أذهب إلى السينما

لكن هذا التناسب ليس منتجا. فهناك ثغرات تدل عليها الأمثلة الآتية:

(29) أ. طالما زرت المتاحف

ب. زرت المتاحف طويلا

ج. * طويلا ما زرت المتاحف

(30) أ. كثيرا ما رأيته يأكل بنهم

ب. * كثر ما رأيته يأكل بنهم

ج. رأيته كثيرا يأكل بنهم

العبارات الظرفية التي تعبر عن دلالة الظرف بواسطة تراكيب تحليلية مثل: في تصوري، في رأيي، على نحو ملائم، من المحتمل.

تظهر المعطيات السابقة أن مجال الظرف في اللغة العربية، و في اللغات عموما، غير متجانس وهذا يؤثر بالضرورة على تصورنا لمفهوم الظرف. وربما يبدو مستحيلا أن نجد تعريفا للظرف يغطي كل هذه المعطيات.

تجسد المقولات الطرازية (prptotypical categories) خاصيتين جوهريتين: الأولى هي تظهر درجات متفاوتة من الانتماء المقولي. بعبارة أخرى، ليست كل العناصر ممثلة للمقولة بنفس الدرجة. والثانية هي أن حدود المقولة الطرازية مع المقولات الأخرى غير واضحة (blurred edges). وعلى هذا الأساس تتوزع العناصر الممثلة للمقولات الطرازية داخل سلم بحسب قربها أو بعدها عن الطراز (prototype).

داخل هذا التصور يقدم راما و ريكا Rama & Ricca (1994) مقاربة طرازية للظروف في اللغات الأوروبية. وينطلقان من تعريف للظروف يساعدهما في تحديد طرازها، ويعتمدان مقياسين:

أ–المقياس الشكلي: الظروف معجميات ثابتة يمكن الاستغناء عنها تركيبيا.

ب–المقياس الوظيفي: الظروف نعوت تضيف معلومة إلى المكون الذي تنعته.

الخاتمة

لقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. لقد اشترك كل من النحاة العرب والغربيون فيما يتعلق بالتعريق بدلالة كل من ظرفي الزمان والمكان، وبالتوافق على بعض المصطلحات كالحال كما يطلق عليه العرب والمصدر النائب عن الحال كما يطلق عليه الغربيون وهما وجهان لعملة واحدة. وبالمقابل نجد أن هناك مفاهيم عند الغربيين لم نجدها في قاموس النحاة العرب وخاصة ما يتعلق بالكلمات الممثلة لبعض المفاهيم.
2. إن الحالة الإعرابية التي يكون عليها الظرف هي النصب وهو الأصل في الاستعمال اللغوي لاسمي الزمان والمكان، وإن الأصل الذي تقوم عليه الظروف هو عدم التصرّف.
3. إن تحقيق الخصائص النووية للظروف تكون بالابتعاد عنها والاقتراب من مقولات أخرى تتمثل بالاسم والحرف.
4. إن غياب المفهوم الذي يدل على الظرف فيه دلالة على غياب مقولات نحوية أو ظرفية.
5. هناك ارتباط ما بين كل من الحد والزمن ووظيفتهما الدلالية مع الإحالة في الارتباط.
6. كما يظهر من الكتب النحوية فإن للمعنى أثر في التمييز بين فئات مختلفة من الظروف.

المراجع

– الأشقر، لمحمد سليمان عبد الله معجم علوم اللغة العربية، ، مؤسسة الرسالة، بيروت،1995.
– ابن أبي الربيع، الإشبيلي : البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1986).
–الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محي الدين عبد الحميد، 1982.
–ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (1985): الأصول في النحو، تحقيق الفتلي دار الرسالة.الأصول، ج1
–ابن عاشور محمد الطاهر،ج8، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
–ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء، شرح المفصل، ج2، عالم الكتب، بيروت.
–الجاجي، محمد ديب، النسق القرآني دراسة أسلوبية، ط1،2010، دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة.
–رواجية، بشير راضي، الظروف في ديوان الأعشى، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح نابلس 2007.
–الخوارزمي، القاسم بن الحسين، صدر الأفاضل شرح المفصل في صنعة الأعراب الموسوم بالتخمير، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط، 1،1990.
–الإستراباذي، رضى الدين شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية،1979.
–استيتية، سمير، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، طبع 1، منشورات اربد، 1995.
–سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج5، 1984.مكتبة الخانجي، القاهرة.
–سمارة، ماريا، سقوط حرف الجر سماعاً (دراسة نحوية)، جامعة النجاح غزة،2010.
– عبد اللطيف شوطا، طبقات الأفعال في اللغة العربية تحليل دلالي معجمي، جامعة الحسن الثاني، المحمدية 2000 الدار البيضاء.
– عبد اللطيف شوطا، تناظر والأوضاع وطبقات الأسماء ضمن المركبات الأسمية والحدية في اللسانيات المقارنة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1999.
– العجمي، سعد ناصر، التعلق القبلي والبعدي لشبه الجملة، مجلة كلية دار العلوم، المجلد 39، العدد 139، جامعة القاهرة.

– مجيد نوط عبيد، الادعاء وما يطابقها من الناحية النحوية، مجلة الفتح للبحوث التربوية والنفسية، جامعة ديالي، العراق العدد السابع والعشرون،2006
– النجار، محمد عبد العزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ،2/158 دار الكتب العلمية بيروت، 1998.

المراجع الأجنبية

- Wyner, A.Z: Boolean Event Lattices: Thematic and Roles in The Syntax and Symantics of Adverbial Modification. Ph.D. diss
- Travis, L.: (1988), The Syntax of Adverbs, Ms. Mc Gill University.
- Vallduvi, E.: (1990), The Informationnal Component. Ph. D. diss. University of Pennsylvania.
- Lars&segal (1995), On the Syntax of Manner Adverbs in Modern Greek. UCL WPL. 7.
- Xydopoulos, J, G.: (1995), Aspect-sensitive Adverbials in Modern Greek, to the 2nd Internationl Conference onappear in Proceedings of Greek lingvishis, univ. of Salzburg.
- Travis, L.: (1988), The Syntax of Adverbs, Ms. Mc Gill University.
- Vallduvi, E.: (1990), The Informationnal Component. Ph. D. diss. University of Pennsylvania.
- Z
ubizarreta, M. L.: (1998), Prosody, Focus, and Word Order, LIM.33, The MIT Press.
- Zwarts, J.: (1992), X'- Syntax, X'- Semantics: On the Interpretation of Functional and Lexical Heads. Ph. D. Diss. Utrecht University.
- Pollock, 3. Y.: (1993), Notes on Clause Structure. MS. University of Amiens Picardie.
Puskas, G.: (To appear), Word order in Hungarian: The Syntax of A-bar positions, John Benjamins, Amesterdam.